آليات الحجاج اللغوية في خطب السيدة زينب (عليها السلام)

م. د. نبأ عبدالامير عبد

كلية طب الأسنان / جامعة القادسية

خلاصة

لم تكن دراسة النص الحجاجي حديثة ولا من مستجدات العصر، إنما يوغل بها التاريخ الى اليونان ولا سيما مؤلفات ارسطو في الخطابة، ثم ما توارثه العرب عن اصول الخطابة ومميزات الخطيب، فالخطاب الحجاجي ركيزة النصوص الموجهة والمتضمنة للقصدية والنقاش والنقد والجدل، ولهذا آثرت الخوض في هذا الموضوع، من خلال مدونات تراثية تمثلت بخطب السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، لما تمتلكه من خصوصيات، تجعلها مجالا خصبا لهذا الطرح وحاولت قراءة هذه المدونة بالاعتماد على آليات الحجاج اللغوية.

وتنطلق نظرية (الحجاج في اللغة) من فكرة مفادها، ان اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، فالحجاج كامن في بنية اللغة، إذ يبنى على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، فهو عبارة عن مجموعة من الحجج والنتائج، تقدم فيها الحجج من أجل ان تؤدي إلى نتيجة معينة.

ويلحظ في خطب السيدة زينب (عليها السلام) استعانتها بعدد من الروابط الحجاجية ولاسيما (الواو) و(الفاء) و(ثم) و(اللام)، من اجل جمع الحجج وربطها في نسيج متكامل، فتقوي الحجج بعضها ببعض لتحقق النتيجة المرجوة.

وكذلك استعانت بالعوامل الحجاجية ولاسيما (ما... إلا) و(هل... إلا)، إذ وفّر لها أسلوب القصر حصر النتيجة باتجاه معين بحيث لا يجد

المخاطب أي نتيجة أخرى الا النتيجة التي حصرت بين الأداة (ما) أو(هل) وأداة الاستثناء (إلا).

والقارئ لخطب السيدة زينب (عليها السلام) يلحظ إلقاءها للحجج بطريقة السلم الحجاجي، إذ سيرت السيدة زينب (عليها السلام) حججها في اتجاه حجاجي واحد مرتبة بشكل متدرج ترتيباً سلمياً، من الحجة الضعيفة الى الحجة القوية حتى تصل إلى أقوى الحجج لتحقق هدفها الحجاجي.

Abstract

Off theory (pilgrims in the language) of the idea that. that language bear in self-essential function orbital. Pilgrims inherent in the structure of language. as it is built on linguistic statements structure. and the sequencing and functioning within the discourse. it is a set of arguments and results. in which the arguments progress in order to lead to a certain result.

The notice in the speeches of Ms. Zainab (peace be upon her) they outsource a number of orbital links. in order to collect arguments and linking them into an integrated fabric. Vtqoa arguments with each other to achieve the desired result.

Also it used the orbital factors. as provided it with the style of the palace inventory result in a certain direction so that the addressee does not find any other result except the result that confined between exile tool exception.

Reader speeches Ms. Zainab (peace be upon her) observed dumping of the arguments in a way peace Hajjaji. since cert Ms. Zainab (peace be upon her) arguments in the direction of orbital one arranged in a graduated arrangement vertically. from weak argument to a powerful argument until you reach the strongest arguments to achieve its goal Hajjaji.

المقدمة

نظرية الحجاج في اللغة، نظرية لسانية تعني بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يستعين بها المتكلم، لمقاصد عديدة منها الرغبة في التأثير والتوجيه والاقناع، لأن المحاج يحاول التأثير على المتلقي، إما لإبعاده عن الأطروحة النقيض وإما ليغير رأيه، ويكون التعامل مع البنية اللغوية للخطاب الحجاجي؛ لأن البنى الحجاجية ذات طبيعة لغوية في الاساس.

وتعد الخطبة العربية اشد الأنواع الأدبية التزاما؛ ولأنها تهدف دائما إلى التأثير والاقناع بإقامة الحجة، ولهذه الاسباب وغيرها آثرت الخوض في هذا الموضوع، من خلال مدونات تراثية تمثلت بخطب السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، لما تمتلكه من خصوصيات، تجعلها مجالا خصبا لهذا العرض وحاولت قراءة هذه المدونة بالاعتماد على آليات الحجاج اللغوية، وقدمت هذه الدراسة تحت عنوان (آليات الحجاج اللغوية في خطب السيدة زينب (عليها السلام).

عرجت في بداية البحث على المفهوم اللغوي لمصطلح الحجاج، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بيان مفهومه الاصطلاحي، وكان لابد لي من الوقوف عند نظرية (الحجاج في اللغة)، للتعرف على سمات هذه النظرية والأسس التي استندت عليها، ثم انتقلت بعد ذلك إلى تطبيق أسس هذه النظرية على المدونات التراثية التي اخترتها، فبدأت بالروابط الحجاجية، ثم العوامل الحجاجية، وبعدها السلم الحجاجي، إذ اخترت نصوصاً من خطب السيدة زينب (عليها السلام)، وقمت بتحليلها في ضوء نظرية (الحجاج في اللغة).

الحجاج

أ- الحجاج اللغةً:

ذكر الخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ) في معجمه:«الحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ. والحِجاج المصدر»[1].

وجاء في لسان العرب:«يقال حاجَجْتُه أُحاجُّه حجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَج التي أَدْلَيْتُ بها... والحُجَّة البُرْهان وقيل الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم وقال الأَزهري الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة وهو رجل محْجاجٌ أَي جَدِلٌ والتَّحاجُّ التَّخاصُم وجمع الحُجَّة حُجَجٌ وحِجاجٌ وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّته»[2].

فالحجاج هو ان يغلب الشخص خصمه بما لديه من حجة، وهذا ما أكده الزبيدي، إذ قال: «الحَجُّ: « الغَلَبَةُ بالحُجَّة « يقال: حَجَّهُ يَحُجُّه حَجّاً إذا غَلَبَه على حُجَّته. وفي الحَديث: « فحَجَّ آدَمُ مُوسَى « أَي غَلَبَه بالحُجَّة وفي حديث معاوية: « فجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي « أَي أَغلبُه بالحُجَّة»[3].

لم يختلف اللغويون في دلالة الحجاج على معنى الغلبة بالحجة، وقد ذكر الخليل أن الحجاج مصدر مأخوذ من الفعل حاجج، كما بين ابن منظور (ت711هـ) دلالة اخرى للحجاج، وهي البرهان، وهذه الدلالة لا تبتعد عن معنى الغلبة بالحجة، فالبرهان هو:«الحُجّة الفاصلة البيّنة يقال بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَرْهَنةً إذا جاء بحُجّةٍ قاطعة للَدَد الخَصم فهو

مُبَرْهِنٌ... وجَمْعُ البرهانِ براهينُ وقد بَرْهَنَ عليه أقامَ الحجّة»[4]، فكلاهما – أي الحجة والبرهان- يجتمعان على رغبة المتكلم في إقناع المخاطب بما لديه من أدلة ليثبت له صحة كلامه وبالتالي يتمكن منه فيظفر بخصمه بما قدمه من حجة.

ب – الحجاج اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تحديد مفهوم واضح لمصطلح (الحجاج) وذلك لتعدد مجالاته، إذ يرى جمع من العلماء أنه على ضربين، الأول: يدخل ضمن حدود المنطق وهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال، إذ يُعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة، والضرب الآخر: واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ[5].

فالحجة عند الفلاسفة ماهي إلا (استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها)[6]، أما المحاجة أو الحجاج فهي عملية جمع الحجج وترتيبها ثم عرضها بطريقة تؤدي إلى إثبات رأي أو إبطاله[7].

أما التداوليون فقد عدوا الحجاج فعالية تداولية؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، كما يهدف الى الاشتراك جماعياً في انشاء معرفة عملية، إنشاء موجَّهاً بقدر الحاجة، وهذا ما جعل التداوليين يضمون الحجاج الى الظواهر التداولية، أما الطابع الجدلي الذي يتسم به الحجاج؛ فلأن هدفه إقناعي قائم على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة[8].

وفضلا على ذلك فقد نظر بعض العلماء إلى الحجاج على أساس أنه بنية نصية، يكون التركيز فيها على الجوانب اللغوية التي تمنح النص دوراً حجاجياً كـ(الأفعال، والظروف، والأسماء...)، ولا تخلو بنية النص من الاستعانة بالجوانب البلاغية كـ(الاستعارة، والتشبيه) فضلاً على الحكايات والآيات، ويكون الهدف من كل هذا التأثير في المتلقي وإقناعه[9].

ومن ثم فلا يمكن أن نحدد المفهوم الاصطلاحي للحجاج ضمن اتجاه معين ؛لأن الحجاج عملية قائمة على طرفين يستعين كل طرف بمجموعة من الحجج نسجت بأساليب لغوية مختلفة من اجل البرهنة على صحت القضية أو إبطالها، وهذه العملية لا يمكن أن تتم من دون الاستعانة بمجموعة من الأساليب اللغوية والبلاغية التي تعطي للحجة مظهراً مقنعاً للطرفين، ولا يمكن استبعاد سياق الحال المحيط بالاطراف المتحاجة، فالمقام والظرف الاجتماعي والمعارف المشتركة لكل منها دور فعال في العملية الحجاجية.

نظرية الحجاج في اللغة

نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها، أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، فالحجاج كامن في بنية اللغة وليس فيما ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية أو شكلية أو رياضية، فالبنى الحجاجية ذات طبيعة لغوية في الاساس، والحجاج لايمكن أن يعد نشاطاً لسانياً من بين انشطة أخرى، ولأنه أساس المعنى وأساس تأويله في الخطاب[10].

وقد وضع أُسس نظرية الحجاج في اللغة اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو وجون كلود أوسكمبر،

وتعد هذه النظرية نظرية لسانية تعني بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يستعين بها المتكلم، بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الاهداف الحجاجية، فهذه النظرية تنطلق من فكرة يمكن أن تتلخص بجملة صغيرة وهي «أننا نتكلم عامة بقصد التأثير»[11].

«لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح، في هذا الإطار، إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج»[12].

وجاءت نظرية الحجاج في اللغة متعارضة في مفهومها للحجاج مع نظريات كثيرة عدت الحجاج منتمياً الى البلاغة الكلاسيكية والمتمثلة بما قدمه ارسطو من مفهوم للحجاج، أو البلاغة الحديثة والمتمثلة بجهود برلمان، و اولبريخت تيتيكا، وميشال مبير وغيرهم، أو منتمياً الى المنطق الطبيعي والمتمثل بافكار جان بليز غريز حول الحجاج[13].

فالحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً (ق1) أو مجموعة أقوال، تفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى، وسواء أكان (ق2) صريحاً أم ضمنياً فعملية قبول (ق2) على أنه نتيجة للحجة (ق1) تسمى عمل محاجة، فالحجاج انجاز لعملين هما عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى[14].

والحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق الذي ترد فيه، والشيء نفسه مع النتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما، ويمكن توضيح هذه الفكرة في الأمثلة الآتية:

- أنا متعب، إذن أنا محتاج إلى الراحة.
- أنا متعب، أنا محتاج إلى الراحة.
- أنا متعب.
- أنا محتاج إلى الراحة.

في المثال الأول صرح بالحجة والرابط والنتيجة، وفي المثال الثاني ذكرت الحجة والنتيجة فقط واضمر الرابط، أما في المثال الثالث فلم يصرح فيه إلا بالحجة، والنتيجة مضمرة يتم استنتاجها من السياق، وفي المثال الرابع ذكرت النتيجة واضمرت الحجة التي يمكن استنتاجها من سياق النتيجة[15].

فـ«الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. ان كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع Les faits» المعبر عنها داخل الأقوال فقط ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها»[16].

فمن أجل أن يكون (ق1) حجة تفضي إلى (ق2) وهي النتيجة، لايكفي أن يكون في (ق1) من الحجج – في مستوى المضمون – مايفضي إلى التسليم بـ(ق2) النتيجة، إذ ينبغي أن تشتمل البنية اللغوية في (ق1) على بعض الشروط التي من شأنها أن تؤهل (ق1) من أجل أن يمثل في خطاب ما حجة تفضي إلى (ق2)، فما تقدمه

البنية اللغوية للحجة من أقوال هي التي تحدد مضمون النتيجة المستنتجة منها[17].

ومن الأمور التي لابد من أن نعرج عليها مسألة التمييز بين الاستدلال والحجاج؛ لأنهما ينتميان إلى نظامين مختلفين، وهما نظام المنطق ونظام الخطاب، فالاستدلال يتكون من أقوال مستقل، بعضها عن بعض، وكل قول منها يعبّر عن قضية معينة، أي انّه يصف حال أو وضعاً معيناً، من أوضاع العالم، بوصفه وضعاً واقعياً أو متخيلاً؛ ولهذا فان تسلسل الأقوال في الاستدلال لا يبنى على الأقوال نفسها، ولكنه يبنى على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم[18].

اما الحجاج فيبنى على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، فهو عبارة عن مجموعة من الحجج والنتائج، تقدم فيها الحجج من أجل أن تؤدي إلى نتيجة معينة، وهذا ما يمكن ان يلحظ من الامثلة الآتية:

أنا متعب، إذن أنا محتاج إلى الراحة.

الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.

الساعة تشير إلى الثامنة، لنسرع.

عليك ان تجتهد لتنجح

يلحظ في كل مثال من هذه الامثلة وجود حجة معينة أدت إلى نتيجة ما، ففي الجملة الأولى يعد التعب حجة على أن الشخص المعني بالامر به حاجة إلى أن يرتاح؛ لأن التعب يستدعي الراحة، وفي المثال الثاني يعتمد المتكلم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج إلى التنزه بالاعتماد على حجة جمال الجو، فالمتكلم يقدم هذا العنصر بوصفه حجة لصالح النتيجة المقصودة[19].

وذكر الدكتور أبو بكر العزاوي بعض سمات الحجج اللغوية ومنها على سبيل المثال لا الحصر[20]:

أ- **سياقية**: فالمتكلم يقوم بتقديم عنصر دلالي يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فالسياق اللغوي هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، والعبارة الواحدة قد تمنحنا حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

ب- **نسبية**: فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فهنالك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويأتي خصمه بحجة مضادة أقوي بكثير منها.

ج- **قابلة للإبطال**: إذ يمكن للحجة أن ترفض وتنقض بوساطة حجة أخرى أقوى منها.

فالحجة تتصف بالنسبية والمرونة، فضلاً على طابعها التدرجي والسياقي، وقابليتها للإبطال، وترتب الحجج بحسب القوة والضعف في سلم يسمى (السلم الحجاجي).

الروابط الحجاجية:

وهي الأدوات اللغوية التي يكون دورها، الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتب درجاتها بوصف هذه القضايا حجاجاً في الخطاب، وهي الفاظ لاتدل بنفسها على أي معنى، وهي بطبيعتها تربط بين العبارات والجمل، لبيان العلاقة القائمة فيما بينها[21]، فهي «روابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو الأكثر)، وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة»[22].

وتضم اللغة العربية عدداً كبيراً من الروابط

الحجاجية، شأنها في ذلك شأن اللغات الطبيعية الأخرى، ومن هذه الروابط: بل، لكن، حتى، إذن، لاسيما، لأن، بما أن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي، ...، ولعل وجود مثل هذه الروابط في اللغة دليل قاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها[23].

وميّز الدكتور أبو بكر العزاوي بين أنماط عدّه من الروابط[24]:

أ- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...)، والروابط المدرجة للنتائج: (إذن، لهذا، وبالتالي...).

ب- الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما...)، والروابط التي تدرج حججاً ضعيفة.

ج- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...)، وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما...).

× الواو ×

يعد الواو من الروابط الحجاجية التي تستثمر دلالتها في ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجج، بل وتقوي كل حجة منها الحجة الأخرى، ولا تنحصر وظيفة الرابط الحجاجي في الربط النسقي على المستوى الأفقي، بل يتجاوز ذلك إلى الترتيب العمودي.25

وقد حوت خطب السيدة زينب (عليها السلام) على الرابط الحجاجي (الواو)، من ذلك ما جاء في خطبتها التي ألقتها على أهال الكوفة، إذ قالت:«وأنّى تَرحَضونَ قَتْل سَليلِ خاتم النبوّة؟ ومعدنِ الرسالة، وسيَّد شباب أهل الجنَّة، ومَلاذِ خيرتكم، ومَفْزَع نازلَتكم، ومَنارِ حُجّتكم، ومِدرَة سَنَتكم؟؟»[26].

استعانت السيدة زينب (عليها السلام) بالرابط الحجاجي الواو للربط بين مجموعة من الحجج وترتيبها ترتيباً أفقياً، فجاءت مترابطة مع بعضها متسقة غير منفصلة، لتقوي كل حجة الحجة التي تليها وتدعم النتيجة المرجوة.

فبدأت السيدة زينب (عليها السلام) بذكر النتيجة، وهي:«أنّى تَرحَضونَ قَتْل سَليلِ خاتم النبوّة؟»، أي كيف يمكن لكم غسل هذا الذنب العظيم عن أنفسكم؟، فأهل الكوفة لن يتمكنوا من محو الذنب الذي اقترفوه، وحجتها على ما قدمته من نتيجة تعود إلى أنّهم قتلوا ابن رسول الله خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)[27].

ولكن السيدة زينب (عليها السلام) لم تكتفِ بهذه الحجة فحسب، بل أردفتها بعدد من الحجج رابطة إياها بالرابط الحجاجي (الواو)، فحجتها الثانية إن الذي قتلوه هو«معدن الرسالة» أي منبع الرسالة المحمدية ومركز إشعاعها[28]، وكذلك هو«سيَّد شباب أهل الجنَّة»، وهو«ومَلاذ خيرتكم» أي الحصن الآمن الذي يحتمى به، ويلجأ إليه المؤمنون الأبرار في الشدائد[29]، وهو«مَفْزَع نازلَتكم» أي من تهوى قلوبكم إليه حين تحل عليكم المصائب[30]، «ومَنارِ حُجّتكم» فهو الذي أنار لكم دربكم بنور علمه[31]، «ومِدرَة سَنَتكم» من كان يفتيكم في دينكم ودنياكم بالحق[32].

جمعت السيدة زينب (عليها السلام) كل هذه الحجج وربطتها مع بعضها بـ(الواو) مما دلَّ على ان الصفات التي تحدثت عنها في كل حجة، اتصف

بها الامام الحسين (عليه السلام) في وقت واحد؛ لأن (الواو) يدل على الجمع المطلق في الزمن[33]، وهذه الدلالة جعلت الحجج مترابطة تساند إحداها الأخرى لتؤكد النتيجة التي ذكرتها السيدة زينب (عليها السلام) في بداية كلامها، فالشخص الذي قتلوه هو سليل خاتم النبوة والذنب الذي اقترفه أهل الكوفة لن يغفر ولا يمكن محوه.

× الفاء ×

يعد (الفاء) من الروابط الحجاجية التي تشترك مع (الواو) في أداء الوظيفة نفسها، فهي تجمع بين الحجج، لتقوي الحجج بعضها ببعض ولكي تحقق النتيجة المرجوة، فهي رابط حجاجي يدعم الحجج المتساوقة والمتساندة[34].

وقد استعانت السيدة زينب (عليها السلام) بالفاء بعده رابطاً حجاجياً في خطبها، من ذلك ما ذكرته في خطبتها التي ألقتها في الشام مخاطبة يزيد بن معاوية، إذ قالت:«أظنَنْتَ – يا يزيد – حينَ أخذْتَ علينا أقطارَ الأرض، وضَيّقْتَ علينا آفاقَ السَماء، فأصْبَحْنا لك في إسار، نُساقُ إليكَ سَوْقاً في قطار، وأنتَ علينا ذو اقتدار، أنّ بنا مِن الله هَواناً، وعليك مِنْه كرامة و امتناناً»[35].

بدأت السيدة زينب (عليها السلام) بذكر الحجج، فالحجة الأولى في قولها: «حينَ أخذْتَ علينا أقطارَ الأرض»، والحجة الثانية:«ضَيّقْتَ علينا آفاقَ السَماء»، وربطت بين الحجة الأولى والثانية بالرابط الحجاجي (الواو) لتساند إحداها الأخرى ولتمنحها دلالة أقوى ولاسيما ان الحجتين يدوران في محور واحد من حيث الدلالة ويجتمعان في الزمن ؛لأن (الواو) تدل على الجمع المطلق[36]، ثم جاءت بعد ذلك بالرابط الحجاجي (الفاء) لتربط الحجج بالنتيجة، في قولها: «فأصْبَحْنا لك في إسار، نُساقُ إليكَ سَوْقاً في قطار، وأنتَ علينا ذو اقتدار، أنّ بنا من الله هَواناً، وعليك منْه كرامة وامتناناً»، ولعل مما سوغ لها ذلك دلالة (الفاء) على التعقيب[37]، فما حدث من نتيجة، جاء بعد حدوث الحجة الأولى والثانية اللتان تزامنتا في وقت واحد.

قد بينت السيدة زينب (عليها السلام) في حجاجها لزيد، انه كان يظن عندما يأتي بهم مكبلين بالسلاسل ومحاصرين من جميع الجوانب، سوف يتحولون إلى أسرى يساقون كالإبل، فيكونون في حال ضعف وهوان، ويكون ليزيد العظمة والقدرة في التحكم بهم[38].

× ثم ×

تعد (ثم) من الروابط الحجاجية التي لا تختلف في عملها عن (الواو) و(الفاء) في جمعها للحجج وربطها في نسيج متكامل، فتقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة.

وجاءت في خطب السيد زينب (عليها السلام) كرابط حجاجي وهي تخاطب يزيد بن معاوية، قالت: «وهَتَفْتَ بأشياخك، وتَقَرّبْتَ بدَمه إلى الكَفَرة من أسْلافك، ثمّ صَرَخْتَ بندائك، ولَعَمْري لقد نادَيتَهم لو شَهِدوك»[39].

قدمت السيدة زينب (عليها السلام) ثلاث حجج:

جاءت الحجة الأولى في قولها: «وهَتَفْتَ بأشياخك»، فعندما دخلت السيدة زينب (عليها السلام) على يزيد بن معاوية، وجيء برأس الحسين (عليه السلام) وقد وضع في طست، فقام يزيد بضرب ثناياه بعصاه، وهو يقول:

لعبتْ هاشمُ بالمُلك فلا
خبرٌ جاءَ ولا وحي نزلْ
ليتَ أشياخي ببَدْر شهدوا
جَزَعَ الخزرج من وقع الأسَلْ

فيزيد بن معاوية يتمنى حضور أشياخه ليروا انتصاره الموهوم، وأخذه لثأرهم من آل رسول الله (صلى‌الله عليه وآله وسلم)[40].

أما الحجة الثانية والتي ربطتها بالحجة الأولى بالرابط الحجاجي (الواو)، هي: «وتَقَرَّبْتَ بدَمه إلى الكَفَرة من أسْلافك»، أي: قُمتَ بإراقة دم الإمام الحسين (عليه السلام) لكي تتقرب بدمه إلى أجدادك الملحدين، وهذا ما جاء في قوله:

قد قَتَلنا القَرم مِن ساداتهم
وأقمنا مثل بدرٍ فاعتدَل [41]

أما الحجة الثالثة فقد تقدمتها (ثم)، في قولها (عليها السلام): «ثمّ صَرَخْتَ بندائك»، أي: بندائك لأشياخك، ومن هذه الجملة نفهم أنّ يزيداً كان رافعاً صوته عندما قرأ تلك الأبيات[42].

يلحظ في الحجج التي ذكرتها السيدة زينب (عليها السلام) التدرج من حيث القوة، فالحجة التي ذكرت بعد (ثم) كانت أقوى الحجج؛ لأنها صورة الحالة الانفعالية التي كان عليها يزيد بن معاوية، إذ كان يصرخ بصوت مرتفع من شدة الفرح والاحساس بالنصر.

وفضلاً على ذلك فاستعمال السيدة زينب (عليها السلام) لـ(ثم) رابطاً حجاجياً دلَّ على وجود مهلة زمنية بين الحجة الأولى والثانية من جهة والحجة الثالثة من جهة أخرى، ولاسيما ان الحجة الاولى والثانية ارتبطتا بالعامل الحجاجي (الواو) الذي يدل على الجمع المطلق في الزمن، بينما تدل (ثم) على المهلة مع التراخي في الزمن[43].

فـ(ثم) لم تكن مجرد رابط حجاجي، بل كان لوجودها دعم دلالي، ولو استعملت السيدة زينب (عليها السلام) رابط حجاجي آخر كالواو أو الفاء لن تتمكن من الحصول على الصورة الدلالية نفسها التي حصلت عليها باستعمال (ثم).

أما النتيجة في قولها (عليها السلام): «ولَعَمْري لقد نادَيتَهم لو شَهِدوك»، كان يزيد يتمنى حضور أسلافه كي يشهدوا أخذه لثأرهم، ولكنّ هذه الأمنية لم تتحقّق ولن تتحقق، فأسلافه موتى معذّبون في نار جهنّم، ومن المستحيل أن يعودوا الآن ويشهدوا ما قام به يزيد من جرائم، وليقولوا له: سَلِمَت يداك!![44].

× اللام ×

تعد اللام بأنواعها المختلفة سواء أكانت لام التعليل أم اللام الجارة أو اللام الناصبة للفعل المضارع أو لام كي، من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة والحجة[45].

وقد ورد استعمال هذا الرابط الحجاجي في خطب السيدة زينب (عليها السلام)، من ذلك في خطبتها على أهال الكوفة، قالت: «أفَعَجِبْتُمْ أنْ مَطرتِ السماءُ دَماً، ولَعَذابُ الآخرة أخزى»[46].

ذكرت المصادر والوثائق التاريخية بأن السماء مطرت دماً بعد قتل الحسين (عليه السلام)، فهو مطر أحمر يشبه الدم في لونه وغلظته، فكان هذا المطر الأحمر كإعلان سماوي

وتنديداً بفظاعة الجريمة، وإنذاراً للعاقبة السيئة التي تنتظر أهل الكوفة في يوم القيامة[47].

استعملت السيدة زينب (عليها السلام) الـ(لام) رابطاً حجاجياً تقدم النتيجة، في قولها: «ولَعَذابُ الآخرة أخزى»، أي: إن العقاب الصارم لقتلة الحسين (عليه السلام) سوف لا يقتصر ولا ينحصر بالعذاب الدنيوي، الذي تمثل لهم بالمطر الاحمر فهو إنذار من الخالق سبحانه وتعالى للعذاب الذي ينتظرهم في الآخرة، فماحدث نتيجة لقتلهم حفيد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[48].

العوامل الحجاجية

تقوم العوامل الحجاجية بحصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها، فهي لا تربط بين الحجة والنتيجة أو بين مجموعة حجج كالروابط الحجاجية، ومن العوامل الحجاجية على سبيل المثال: كاد، ربما، تقريباً، قليلاً، كثيراً، (ما... إلا)، وجل أدوات القصر[49].

و«للقصر طرفان: مقصور ومقصور عليه، واعتماد اداة النفي مع الاستثناء يخصّص احد الطرفين على الاخر، وبذلك يكون القصر في الحجاج بمثابة تقديم التدعيم والنتيجة داخل سلم حجاجي تنازلي، وفق الشكل التالي:

أداة النفي <- نتيجة >- أداة الاستثناء -< تدعيم وحجة

هذا التدعيم المعتمد عن طريق القصر، يأخذ مرتبة البرهان الذي لا يرد ولا يدحض، ويجعل ذهن المتلقي محصوراً بين هذا التدعيم وتلك النتيجة المقصودة، دون النظر إلى احتمالات أخرى، وبخاصة بأنه يرد بعد الاستثناء، فيبرز الجانب التداولي لأداة الاستثناء في القصر داخل سلّم حجاجي كونها مقدما للحجج والتدعيمات»[50].

وتعد أدوات القصر من العوامل الحجاجية التي استعانت بها السيدة زينب (عليها السلام) في خطبها ولاسيما الأدوات (ما... إلا)، و(هل...إلا).

(ما... إلا)

الأداتين (ما... إلا) من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، إذ تقوم بترتيب الحجج في سلم واحد، وتقوم بتوجيه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل، عادة، لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما[51].

ومن ذلك ما ذكرته السيدة زينب (عليها السلام) عندما خاطبت يزيد بن معاوية، قائلة: «وفَعَلْتَ فعْلتك التي فَعلْت، وما فَرَيتَ إلّا جِلْدَك، وما جَزَرْتَ إلّا لَحْمَك»[52].

فالسيدة زينب (عليها السلام) في قولها: «وما فَرَيتَ إلّا جِلْدَك»، قصرت عملية التقطيع والتشقيق على جلد يزيد بن معاوية[53]، وهذا ما يلاحظ عندما جعلت النتيجة وهي (فريت) محصورة بين أداة النفي (ما) وأداة الاستثناء (إلا)، ثم ذكرت ما يدعم هذه النتيجة وهو (الجلد) الذي جاء بعد أداة الاستثناء، فأكدت أنّ عملية التقطيع والتشقيق لم تحدث إلا لجلد يزيد بن معاوية.

وكذلك في قولها: «وما جَزَرْتَ إلّا لَحْمَك»، فقد قصرت عملية الجزر وهي التقطيع على لحم يزيد بن معاوية[54]، وهي النتيجة التي حصرت بين أداة النفي (ما) وأداة الاستثناء (إلا)، وجاء (لحمك) الذي ذكر بعد أداة الاستثناء لتدعيم النتيجة المذكورة.

مما لاشك فيه أنّ السيدة زينب (عليها السلام) لم تقصد المعنى المباشر، بل أرادت إذعان يزيد بن معاوية لحججها فأن ما فعله أضر به نفسه، واستعانتها بأسلوب القصر وفّر لها حصر النتيجة باتجاه معين، مكنها من ذلك تيسير الحجج نحو هذا الاتجاه بحيث لا يجد المخاطب أي نتيجة أخرى إلا النتيجة التي حصرت بين أداة النفي (ما) وأداة الاستثناء (إلا) وما ذكر من (جلدك) و(لحمك) حجج لتدعم بها النتيجة المرجوة.

(هل... إلا)

قالت السيدة زينب (عليها السلام) مخاطبة يزيد بن معاوية: «وهل رَأْيُك إلّا فَنَد؟ وأيّامُك إلّا عَدَد؟ وجَمْعُك إلّا بَدَدٌ؟»[55].

يلاحظ أن السيدة زينب (عليها السلام) استعملت اسلوب القصر عاملاً حجاجياً لتوجيه المخاطب نحو الإذعان لحججها وسد منافذ الحجاج أمام المخاطب، فلا يجد إلا النتيجة التي تهدف إليها.

ففي قولها:«هل رَأْيُك إلّا فَنَد؟»، قصرت رأي يزيد بن معاوية على عدم الصواب، فقد أخطأ فيما قام به من تخطيط وتنفيذ لجريمته[56].

وأما في قولها:«وأيّامُك إلّا عَدَد؟ وجَمْعُك إلّا بَدَدٌ؟»، فقد أضمرت أداة الاستفهام المتضمنة معنى النفي واظهرت أداة الاستثناء مؤكدة على أهمية ما يذكر بعد أداة الاستثناء في السياق الحجاجي، وبدت الجملتان الثانية والثالثة كأنهما جزء مكمل للجملة الأولى ومساند لحجتها.

ففي قولها:«وأيّامُك إلّا عَدَد؟»، أي ماتبقى من عمرك إلا اياماً معدودة، فيزيد قريب من الموت والهلاك ليلاقي جزاء اعماله وما اقترفه في الدنيا من ذنوب[57].

وفي قولها:«وجَمْعُك إلّا بَدَدٌ؟»، فالحاشية التي تجتمع حولك وتسهر معك على مائدة الخمر والقمار والغناء سوف يتركوك ويتفرقون عنك فلا تفرح بمن يجتمع اليوم حولك فغداً لن تجد من يناصرك ويسامرك[58].

وعليه يمكن أن يلحظ أن اسلوب القصر في قولها: (إلا فند)، و(إلا عدد)، و(إلا بدد)، ماهي الا عوامل حجاجية ساندت بعضها، لكي تصل إلى النتيجة المرجوة، وهذه النتيجة قد اقتصرت على ما موجود بعد (إلا) فرأيه لا يمكن ان يكون إلا فند، وأيامه لا يمكن ان تكون إلا قليلة العدد، والجمع المحيط به لابد ان يتبدد.

السُّلم الحجاجي

يعرف السُّلم الحجاجي بـ«أنه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

كل قول يقع في مرتبة ما من السُّلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

كل قول في السُّلم كان دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى»[59].

ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتي:

ن «زيد من أنبل الناس خلقاً»

د – أكرم زيد عدوه

ج – أكرم زيد صديقه

ب – أكرم زيد أخاه

فـ(ب، ج، د) يرمز بها إلى الأدلة و(ن) يرمز

بها إلى المدلول منها[60]، ويتضح من الرسم أن الحجج قد رتبت ترتيباً عمودياً من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية ضمن فئة حجاجية واحدة، فجميع الحجج تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي اتصاف زيد بأنه من أنبل الناس خلقاً، ولكن هذه الحجج تختلف في قوتها فـ(ج) أقوي من (ب)، و(د) أقوى من (ج).

تنطلق نظرية السلالم الحجاجية من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة (ق) والنتيجة (ن) ومعنى التلازم، أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلّا بإضافتها إلى النتيجة، مع الإشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية، وعلى سبيل المثال:

س: ماذا تريد أن تفعل اليوم؟

ج: ألا ترى أن الطقس جميل؟

فالاستفهام في (ج) يمثل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة، وإن لم يصرح بهذه النتيجة[61].

قوانين السّلم الحجاجي:

1 - **قانون الخفض**: «مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»[62].

يوضح هذا القانون فكرة النفي اللغوي الوصفي، فعندما نستعمل جملاً من قبيل:

الجو ليس بارداً.

لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

ففي مثل هذه الجمل تستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارص وشديد كـ(المثال الأول)، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل كـ(المثال الثاني)، وستؤول الجملة الأولى على النحو الآتي:

إذا لم يكن الجو بارداً، فهو دافئ أو حار.

وتؤل الجملة الثانية كالآتي:

لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل[63].

«وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع، في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضاً في سلمية تدرجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية. فلا تندرج الاقوال الإثباتية (من نمط "الجو بارد") والأقوال المنفية (من نمط "الجو ليس بارداً") في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي»[64].

2 - **قانون تبديل السلم**: ومقتضى هذا القانون أنه «إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[65].

وعليه يكون هذا القانون مرتبط بالنفي أي إذا كان قول (أ) مستعملاً من قبل متكلم ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه أي (- أ) يكون حجة لصلح النتيجة المضادة لها، وبمعنى آخر إذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية بوساطة (ن)، فإن (- أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بوساطة (لا ن) [66].

3 - **قانون القلب**: يعرف هذا القانون بـ«أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول»[67].

ومعنى هذا القانون، أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال المثبت، فإذا كان (ʾ أ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة (ن)، فإن (~ʾ أ) هو أقوى من (~ أ) بالقياس إلى (لا- ن)، فإذا كان لدينا حجتين وكانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة، من ذلك على سبيل المثال:

حصل زيد على الماجستير، و حتى الدكتوراه.

لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه يعد دليلاً أقوى على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، بينما عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه[68].

والقارئ لخطب السيدة زينب (عليها السلام) يلحظ إلقائها للحجج بطريقة السلم الحجاجي، من ذلك على سبيل المثال:

1 – قالت السيدة زينب (عليها السلام) في خطبتها على أهالي الكوفة: «ألا ساءَ ما تزرون، وبُعْداً لكم وسُحْقاً، فلقد خابَ السَعي، وتَبّت الأيدي، وخَسِرَت الصَفْقَة، وبُؤتُمْ بِغَضَبٍ مِن الله، وضُرِبَتْ عليكمُ الذِلّةُ والمَسْكَنَة»[69].

بينت السيدة زينب (عليها السلام) أن ما قام به أهالي الكوفة من ذنوب وجرائم أبعدتهم عن رحمة الله وغفرانه فبئس ما حملوا على ظهورهم من ذنوب خسروا بها الدنيا والآخرة[70].

واحتجت لنتيجة التي وصل إليها أهال الكوفة، بحجج رتبتها بشكل متدرج، إذ قالت: «فلقد خابَ السَعي»، أي ما خرجتم من أجله لم تنالوه، إذ كان هدفهم القضاء على الإمام الحسين (عليه السلام)، وماحدث انه انقطع عن الدنيا بجسده ولكن ذكراه باقية، ثم قالت: «وتَبّت الأيدي» أي: لم تجنِ أيديكم من فعلتكم هذه إلا الخسران والهلاك، وعليه فقد «خَسِرَت الصَفْقَة» أي: صفقتكم التي خرجتم من أجلها باءت بالفشل، وتنهي السيدة زينب (عليها السلام) حججها بأقوى حجة، وهي «بُؤتُمْ بِغَضَبٍ مِن الله، وضُرِبَتْ عليكمُ الذِلّةُ والمَسْكَنَة» أي: ان ما قمتم به لم تجنوا من وراءه إلا غضب الله عز وجل، واستمدت هذه الحجة قوتها من القرآن الكريم، إذ «تكتسب الحجج قوتها من قوة مصادرها»71، فقد جاءت في قوله تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ)72.73

ويمكن ان نمثل لذلك بطريقة السلم الحجاجي على النحو الآتي:

ن (خسر أهل الكوفة الدنيا والآخرة بسبب قتلهم للإمام الحسين

(عليه السلام»

ح4 – بؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم

الذلة والمسكنة

ح3 – خسرت الصفقة

ح2 – تبت الأيدي

ح1 – خاب السعي

وقد سيرت السيدة زينب (عليها السلام) حججها في اتجاه حجاجي واحد لتخدم نتيجة ضمنية واحدة مثلت قصد السيدة زينب (عليها السلام) لتحقق هدفها الحجاجي، وهو التأثير في أهال الكوفة و إقناعهم بالخسارة التي جنوها من قتلهم للإمام الحسين (عليه السلام).

2 – قالت السيدة زينب (عليها السلام): «لقد جِئْتُمْ بها صَلْعاء عَنْقاء سَوداء فَقْماء، خَرْقاء شَوهاء، كطِلاع الأرض ومِلْءِ السماء»[74].

يلحظ في هذا النص وصف السيدة زينب عليها السلام للجريمة التي ارتكبها أهال الكوفة بصفات عديدة تدرجت بها بطريقة السلم الحجاجي فبدأت بوصفها بـ(صلعاء)، ولعلها كانت تعني أن جريمتكم مكشوفة لا يمكن ان يغطيها شيء ؛لأنها جريمة عظيمة[75].

اما (عنقاء) فهي صفة تطلق على الطائر الذي يرتفع بصيديه ثم يرميه على الارض، وهو وصف لبشاعة الجريمة التي ارتكبت، وقيل: ان معناها بداية كل شيء فلعل هذه الجريمة سوف تكون بداية لسلسة من الأزمات فلا تتوقعوا خيراً بعد عملكم الشنيع هذا[76].

اما (سوداء) فلعل السيدة زينب (عليها السلام) أرادت بسوداء، وصف مقتل الامام الحسين (عليه السلام) بالغدر كالجرائم التي ترتكب في سواد الليل أي في خفية وغدر، و(فقماء) هو كل أمر معوج خرج من حد الاستقامة والاستواء حتى انه يطلق على المرأة الساقطة[77]، وأرى ان (فقماء) تممت المعنى مع (سوداء) في الوصف.

واما (خرقاء)، فـ«ناقة خرقاء لا تتعاهد مواضع قوائمها»[78]، و(شوهاء) هي من كانت قبيحة الوجه والخلقة[79].

وهنا يمكن أن نلمس التدرج في السلم الحجاجي، إذ بدأت السيدة زينب (عليها السلام) بوصف الجريمة من الخارج إلى الداخل فهي جريمة عظيمة مكشوفة لا يمكن إخفاءها وسوف يستمر أثرها على مدى الزمن، ثم تنتقل بعد ذلك لتوضح كيف اتفقوا على هذه الجريمة في خفية عن الإمام الحسين (عليه السلام) وغدروا به عندما وصل إلى كربلاء، ثم تتعمق اكثر في وصف الجريمة التي ارتكبوها وهم لا يعلمون ما يترتب على هذه الجريمة من آثر ستمتد بقبحها إلى أبناءهم وأحفادهم ليتحملوا نتائج أفعال غير حكيمة.

وتنهي السيدة زينب (عليها السلام) كلامها، بوصف حجم الجريمة، فهي كطلاع الارض وملء السماء، وقيل «طلاعُ الارض مِلْؤُها حتى يُطالِعَ أعلاه أعْلاها فَيُساوِيَه»[80]، أي انها ملأت الكون بأكمله من أرض وسماء، وهذا الوصف لا يمكن ان يأتي بعده وصف آخر لحجم الجريمة التي ارتكبها أهال الكوفة.

ويمكن ان نمثل ما قدمته السيدة زينب (عليها السلام) من وصف لجريمة أهال الكوفة على النحو الأتي:

ن «فظاعة الجريمة التي ارتكبها أهل الكوفة»

ح7 – كطلاع الارض وملء السماء

ح6 – شوهاء

ح5 – خرقاء

ح4 – فقماء

ح3 – سوداء

ح2 – عنقاء

ح1 – صلعاء

3 – خاطبت السيدة زينب (عليها السلام) يزيد بن معاوية، قائلة:«ولا غَرْوَ منْك ولا عَجَبَ من فعْلك، وأنّى تُرْتَجى مُراقَبَةُ ابنِ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أكبادَ الشُهَداء، ونَبَتَ لَحْمُه بدماء السُعَداء، ونَصَبَ الحَرْبَ لسيّد الأنبياء، وجَمَعَ الأحزاب، وشَهَرَ الحراب، وهَزّ السُيوف في وَجْه رسول الله (صلىالله عليه وآله وسلم).أشَدُّ العَرَب للّه جُحُوداً، وأنكرُهُم له رسولاً، وأظهرُهُم له عُدْواناً، وأعتاهُمْ على الرَبّ كُفْراً وطُغياناً»[81].

لم تعجب السيدة زينب (عليها السلام) من فعل يزيد بن معاوية معللة ذلك بثلاث حجج مرتبة ترتيبا سلمياً، إذ بدأت بالحجة الضعيفة، ثم الحجة القوية حتى وصلت إلى أقوى الحجج، ويمكن توضيح ذلك بالسلّم الحجاجي الآتي:

ن «لم تعجب السيدة زينب (عليها السلام) من فعل يزيد»

ح3 – أشَدُّ العَرَب للّه جُحُوداً، وأنكرُهُم له رسولاً، وأظهرُهُم له عُدْواناً،

وأعتاهُمْ على الرَبّ كُفْراً وطُغياناً.

ح2 – ونَصَبَ الحَرْبَ لسيّد الأنبياء، وجَمَعَ الأحزاب، وشَهَرَ الحراب،

وهَزّ السُيوف في وَجْه رسولِ الله (صلىالله عليه وآله وسلم).

ح1 – وأنّى تُرْتَجى مُراقَبَةُ ابنِ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أكبادَ الشُهَداء، ونَبَتَ لَحْمُه بدماء

السُعَداء.

فالحجة الأولى):(ولا غَرْوَ منْك ولا عَجَبَ من فعْلك، وأنّى تُرْتَجى مُراقَبَةُ ابنِ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أكبادَ الشُهَداء، ونَبَتَ لَحْمُه بدماء السُعَداء»، وهي تشير بذلك إلى هند جدة يزيد بن معاوية عندما حاولت أكل قطعة من كبد عم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حمزة بن عبد المطلب، ولكن القدرة الإلهية جعلت هذه القطعة تتحول إلى حجر صلب فلم تتمكن منها فلفظتها ورمتها من فمها، واكتسبت بذلك لقب (آكلة الأكباد)، فمن كان حفيداً لمثل هذه المرأة لا يجوز ان نتعجب من أي فعل يقوم به[82]، فلا خير بمن تربى على ايدي من قتل أفاضل الناس واكثرهم إيماناً بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

اما الحجة الثانية فهي: «ونَصَبَ الحَرْبَ

لسيّد الأنبياء، وجَمَعَ الأحزاب، وشَهَرَ الحراب، وهَزّ السُيوف في وَجْه رسولِ الله (صلى‌الله عليه وآله وسلم»)، تنتقل السيدة زينب (عليها السلام) إلى جد يزيد بن معاوية وهو ابو سفيان، الذي جمع العشائر والقبائل من المشركين واليهود والنصارى وغيرهم، وكان يجهز الجيوش في مكة ليقاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في واقعة الأحزاب، فيزيد حفيد لأبي سفيان الذي رفع سيفه بوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا عجب ان يشهر سيفه غدراً بوجه حفيده[83].

ولعل مما يستدعي الانتباه في هذه الحجة، انها حجة في داخلها مجموعة من الحجج مرتبة ترتيباً عمودياً من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى، ويمكن ان نمثل لها بالشكل الآتي:

ن «الموقف العدائي لأبي سفيان من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم»)

ح4 – هَزّ السُيوف في وَجْه رسولِ الله (صلى‌الله عليه وآله وسلم)

ح3 – شَهَرَ الحراب

ح2 – جَمَعَ الأحزاب

ح1 – نَصَبَ الحَرْبَ لسيّد الأنبياء

فالنتيجة ان أبا سفيان كان له موقف عدائي من رسول الله (صلى‌الله عليه وآله وسلم)، بدأ هذا الموقف بالدعوة إلى الحرب ثم انتقل إلى جمع الأحزاب وبعدها إعلان الحرب بشكل رسمي وهذا ما أشارت إليه بقولها: (شهر الحراب)، والحجة الأقوى التي دلت على كرهه لرسول الله (صلى‌الله عليه وآله وسلم) رفعه السيف بوجه رسول الله (صلى‌الله عليه وآله وسلم) وتحديه في ساحة الحرب.

والحجة الثالثة في قولها: «أشَدُّ العَرَب لِلّه جُحُوداً، وأنكرُهُم له رسولاً، وأظهرُهُم له عُدْواناً، وأعتاهُمْ على الرَبّ كُفْراً وطُغياناً»، إذ بينت السيدة زينب (عليها السلام) مواقف العرب من الدين الإسلامي ومن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فمنهم من كان عازم على الاستمرار في كفره منكراً لوجود الله سبحانه وتعالى، ومنهم من وقف بوجه رسول الله (صلى‌الله عليه وآله وسلم) وأعلن العداء له، ومنهم من كان يحيك المؤامرات ضد النبي الكريم (صلى‌الله عليه وآله وسلم) بصورة سرية، ولكن أبو سفيان أكثر الناس إنكارا لله تعالى ولرسالة نبيه الكريم محمد (صلى‌الله عليه وآله وسلم)[84]، فمن كان حفيد لهند وابي سفيان لا عجب عليه ان يرتكب مثل هذه الجريمة.

ويلحظ في هذه الحجة ما لحظ في الحجة الثانية، من احتوائها على مجموعة من الحجج رتيبت بشكل عمودي من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى، ويمكن ان نمثل لها بالشكل الأتي:

ن «موقف غير مشرف لأبي سفيان من الإسلام»

ح4 – أعتاهُمْ على الرَبّ كُفْراً وطُغياناً

ح3 – أظهرُهُم له عُدْواناً

ح2 – أنكرُهُم له رسولاً

ح1 – أَشَدُّ العَرَبِ لِلّٰه جُحُوداً

فالنتيجة ان أبا سفيان كان له موقف غير مشرف من الإسلام، إذ كان ملحداً وناكرا لله تعالى ولرسوله (صلى‌الله عليه وآله وسلم)، ومعلناً لهذا الإلحاد والعداء لله ورسوله (صلى‌الله عليه وآله وسلم)، وهو اشد الناس كفراً بالله تعالى وأكثرهم طغياناً، والكفر أعلى درجات الإلحاد فكانت أقوى حجة ختمت بها السيدة زينب عليها السلام حججها.

الخاتمة

قبل ان ننهي الحديث في هذه الدراسة لابد ان نعرج على بعض النتائج التي توصل إليها البحث.

تنطلق نظرية (الحجاج في اللغة) من فكرة مفادها، ان اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، فالحجاج كامن في بنية اللغة وليس فيما ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية أو شكلية أو رياضية، والخطاب وسيلة الحجاج وهو في آن واحد منتهاه، فيبنى الحجاج على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، فهو عبارة عن مجموعة من الحجج والنتائج، تقدم فيها الحجج من أجل ان تؤدي إلى نتيجة معينة.

استعانت السيدة زينب (عليها السلام) بعدد من الروابط الحجاجية ولاسيما (الواو) و(الفاء) و(ثم) و(اللام)، وذلك من اجل جمع الحجج وربطها في نسيج متكامل، فتقوي الحجج بعضها ببعض لتحقق النتيجة المرجوة.

وكذلك استعانت بالعوامل الحجاجية ولاسيما (ما... إلا) و(هل... إلا)، إذ وفر لها اسلوب القصر حصر النتيجة باتجاه معين بحيث لا يجد المخاطب أي نتيجة أخرى الا النتيجة التي حصرت بين الأداة (ما) أو(هل) وأداة الاستثناء (إلا).

والقارئ لخطب السيدة زينب (عليها السلام) يلحظ إلقائها للحجج بطريقة السلم الحجاجي، إذ سيرت السيدة زينب (عليها السلام) حججها في اتجاه حجاجي واحد مرتبة بشكل متدرج ترتيباً سلمياً، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية حتى تصل إلى أقوى الحجج لتحقق هدفها الحجاجي.

الهوامش

(1) العين، الخليل بن احمد الفراهيدي: 3/10 (حج)، وينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: 2/ 30 (حج).

(2) لسان العرب، ابن منظور: 2/226 (حجج).

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: 5/460 (حجج).

(4) لسان العرب: 13/51 (برهن).

(5) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة: 8.

(6) موسوعة لالاند الفلسفية، أندرية لالاند: 1/93، وينظر المعجم الفلسفي، الدكتور ابراهيم مدكور: 67.

(7) ينظر: موسوعة لالاند: 1/94، والمعجم الفلسفي: 67.

(8) في اصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدكتور

طه عبد الرحمن: 65.

(9) ينظر: الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، يمينة تابتي: 286.

(10) ينظر: الحجاج في القرآن: 33، واللغة والحجاج، الدكتور ابو بكر العزاوي: 14، والتداولية والحجاج، صابر الحباشة: 18.

(11) ينظر: الحجاج في القرآن: 33، واللغة والحجاج: 14، والتداولية والحجاج: 18.

(12) » اللغة والحجاج: 15.

(13) «ينظر: المصدر نفسه: 14.

(14) ينظر: الحجاج في القرآن: 33.

(15) ينظر: اللغة والحجاج: -18 19.

(16) المصدر نفسه: -16 17.

(17) ينظر: الحجاج في القرآن: 34.

(18) ينظر: اللغة والحجاج: 17.

(19) ينظر: المصدر نفسه: -17 18.

(20) ينظر: المصدر نفسه: -19 20، وتجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف – انموذجاً -، حياة دحمان: 71.

(21) ينظر: الشمسية في القواعد المنطقية، الدكتور مهدي فضل الله: 48، و استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: 508.

(22) اللغة والحجاج: 27.

(23) ينظر: المصدر نفسه: 55.

(24) المصدر نفسه: 30.

(25) ينظر: استراتيجيات الخطاب:-472 473.

(26) مقتل الحسين عليه السلام (اللهوف في قتلى الطفوف)، ابن طاووس: 87، وينظر: زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني: -284 285.

(27) ينظر: لسان العرب: 7/153 (رحض)، و 11/338 (سلل)، وزينب الكبرى: 308.

(28) ينظر: العين: 2/42 (عدن).

(29) ينظر: زينب الكبرى: -310 311.

(30) ينظر: العين: 2/ 87 (نزل)، وزينب الكبرى: 311.

(31) ينظر: زينب الكبرى 311.

(32) ينظر: المصدر نفسه: 313.

(33) ينظر: الكتاب، سيبويه: 1/438، والواو والفاء وثم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية إحصائية، صفاء عبدالله:36.

(34) ينظر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف –انموذجاً -: 184.

(35) الاحتجاج، الطبرسي: 2/31، وينظر: زينب الكبرى: -398 399.

(36) ينظر: الكتاب: 1/438، والواو والفاء وثم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية إحصائية:36.

(37) ينظر: الكتاب:4/217، والواو والفاء وثم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية إحصائية: 37.

(38) ينظر زينب الكبرى: -411 412.

(39) الاحتجاج:2/32، وزينب الكبرى: 401.

(40) ينظر: زينب الكبرى: 396، 437.

(41) ينظر: المصدر نفسه: -437 438.

(42) ينظر: المصدر نفسه: 438.

(43) ينظر: الكتاب: 1/429، 438، والواو والفاء وثم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية إحصائية:36، -38 39.

(44) ينظر: زينب الكبرى: 438.

(45) ينظر: استراتيجيات الخطاب:479.

(46) مقتل الحسين عليه السلام (اللهوف في قتلى الطفوف): 87، وينظر: زينب الكبرى: 285.

(47) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 16/141، وذخائر العقبى، محب الدين الطبري: 145، وزينب الكبرى: -324 327.

(48) ينظر:، وزينب الكبرى: 327 – 328.

(49) ينظر: اللغة والحجاج: 27، والخطاب والحجاج، ابو بكر العزاوي: 56.

(50) تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف –انموذجاً -: 193.

(51) ينظر: (اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت: 381، و استراتيجيات الخطاب: -519 520.

(52) الاحتجاج: 2/32، وينظر: زينب الكبرى: 402.

(53) ينظر: العين 8/280 (فري).

(54) ينظر: لسان العرب: 4/133 (جزر).

(55) الاحتجاج: 2/33، وينظر: زينب الكبرى: 404.

(56) ينظر: تاج العروس: 8/505 (فند)، وزينب الكبرى: 470.

(57) ينظر: زينب الكبرى: -470 471.

(58) ينظر: المصدر نفسه: -471 472.

(59) في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: 105.

(60) » ينظر: اللسان والميزان، الدكتور طه عبد الرحمن: 277.

(61) ينظر: (اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم) نظرية الحجاج في اللغة: 363، و تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف –انموذجاً -: 74.

(62) اللسان والميزان: 277، وينظر: في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: -105 106.

(63) ينظر: اللغة والحجاج:24.

(64) المصدر نفسه: 24.

(65) في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: 106.

(66) ينظر: اللسان والميزان: 278، والحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بوبلوطة: 66.

(67) اللسان والميزان: 278.

(68) ينظر: اللغة والحجاج: -22 23.

(69) مقتل الحسين عليه السلام (اللهوف في قتلى الطفوف): 87، وينظر: زينب الكبرى: 285.

(70) ينظر: زينب الكبرى: 314.

(71) استراتيجيات الخطاب: 544.

(72) البقرة: 61.

(73) ينظر: العين: 8/ 110 (تب)، وزينب الكبرى: 314- 317.

(74) مقتل الحسين عليه السلام (اللهوف في قتلى الطفوف): 87، وينظر: زينب الكبرى: 285.

(75) ينظر: المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد: 1/333 (صلع)، و زينب الكبرى: 322.

(76) ينظر: المحيط في اللغة: 1/184 (عنق)، وزينب الكبرى 322.

(77) ينظر: تاج العروس: 33/ 217 (فقم).

(78) المحيط في اللغة:4/ 193 (خرق).

(79) ينظر: تاج العروس: 36/420 (شوه).

(80) لسان العرب: 8/235 (طلع).

(81) الاحتجاج: 31، وينظر: زينب الكبرى: 400.

(82) ينظر: زينب الكبرى: 423- 424.

(83) ينظر: المصدر نفسه: 424- 425.

(84) ينظر: المصدر نفسه: 426- 428.

المصادر والمراجع

اولاً: الكتب

القرآن الكريم.

- الاحتجاج، العلامة الخبير ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس الهجري، ط1، منشورات الشريف الرضي، المطبعة: شريعت، 1380ه.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م.
- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الاداب والفنون والعلوم الانسانية – تونس، كلية الاداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت1205ه)، تحقيق: نخبة من العلماء، مطبعة حكومة الكويت.
- الجامع لاحكام القران، ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671 ه)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423ه 2003م.
- الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية، عبدالله صولة، ط2، دار الفارابي – بيروت- لبنان، كلية الاداب والفنون والانسانيات تونس – منوبة (الجمهورية التونسية)، دار المعرفة للنشر (الجمهورية التونسية)، 2007م.
- الخطاب والحجاج، الدكتور ابو بكر العزاوي، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2010م.

- ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، العلامة الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت694ه)، عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، عنيت بنشره مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، 1356ه.
- زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد، محمد كاظم القزويني، حققه وعلق عليه ولده السيد مصطفى القزويني دار المرتضى بيروت.
- الشمسية في القواعد المنطقية، تقديم، تحليل، تعليق، وتحقيق: الدكتور مهدي فضل الله، ط1، المركز الثقافي العربي، 1998م.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175 ه)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر.
- في اصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدكتور طه عبد الرحمن، ط2، المركز الثقافي العربي، 2000م.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط 1، دار الجيل، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت 711 ه)، ط1، دار صادر، بيروت.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدكتور طه عبد الرحمن، ط1، المركز الثقافي العربي، 1998م.
- اللغة والحجاج، الدكتور ابو بكر العزاوي، ط1، العمدة في الطبع، 1426ه - 2006م.
- المحيط في اللغة، الصاحب اسماعيل بن عباد (ت385 هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، 1414 هـ 1994 م.
- المعجم الفلسفي، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيأة العامة لشوؤن المطابع الاميرية، 1403ه – 1983م.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت 395 ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399 ه 1979م.
- مقتل الحسين عليه السلام المسمى باللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت664ه)، ط1، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 1414ه – 1993م.
- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل احمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصراً: احمد عويدات، ط2، منشورات عويدات، بيروت – باريس، 2001م.

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية

- تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة

يوسف – انموذجاً-، حياة دحمان، رسالة ماجستير، كلية الاداب واللغات، جامعة الحاج لخضر – باتنة-، 1433ه1434-ه، 2012م- 2013م.

- الحجاج في الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي، حسين بوبلوطة، رسالة ماجستير، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر- باتنة-، 2009م – 2010م.
- الواو والفاء وثم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية إحصائية، صفاء عبدالله نايف حردان، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين، 2008م.

ثالثاً: الدوريات

× مجلة الخطاب، مجلة دورية اكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والادب، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، يمينة تابتي، العدد: 2، 2007م.